AL-AASAR Journal
Quarterly *Research Journal*
www.al-aasar.com

Vol. 2, No. 4 (2025)
Online ISSN: 3006-693X
Print ISSN:3006-6921

ظواهر العدول عن مقتضى الظاهر في الأدب المفرد نموذجا
(دراسة تطبيقية بلاغية)
MANIFESTATIONS OF DEVIATION FROM THE APPARENT MEANING IN AL-ADAB AL-MUFRAD:A CASE STUDY AN APPLIED RHETORICAL STUDY

Muzammal Ahsan
PhD Scholar, Department of Arabic, University of the Punjab, Lahore.
Email: muzammalahsan88@gmail.com
Dr Abu Bakar Azhar
Prof of Arabic department, University of The Punjab, Lahore
Email: abubaker.arabic@pu.edu.pk

ABSTRACT
This study addresses one of the rhetorical phenomena, namely the departure from the apparent meaning (khuruj al-kalam, un muqtada al-zahir) which arises from rhetorical motives that deeply influence thought and emotions. It highlights the role of scholars and researchers in uncovering its objectives. By examining Prophetic traditions (ahadith nabawiyya), it becomes evident that when speech departs from the apparent wording, it carries an interpretation and direction that is not immediately understood from the literal expression. This rhetorical shift captures the reader,s attention and motivates them to explore beyond the surface wording in order to uncover the intended meaning that the hadith seeks to convey.
The manifestations of this departure are diverse. They include transforming declarative statements into performative ones, replacing verbs with verbal nouns, expressing the past using the present tense, expressing the future using the past tense, employing predominance (taghilb) between verb forms (past, present, and imperative), andutilizing stylistic shifts such as iltifat (grammatical and rhetorical shift), among other rhetorical devices.

التمهيد:

لاشك أن الكلام هو الذي يعطي العلوم والفنون منازلها ويبين مدارجها ويجلي عن صورها ويجني ضروب ثمرها ويدل على سرائرها ويظهر مكنون أسرارها وبه فرق الله تعالى الإنسان من الحيوانات وبين فيه على عظمة المن والكرم والشكر.

تتناول هذه الدراسة ظاهرة من ظواهر البلاغة، وهي ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر الناشئة من الدواعي البلاغية ذات التأثير في النفوس والفكر، وتحاول تسليط حضور العلماء والدارسين في الكشف عن مقاصدها. واطّلاعا في النظر الأحاديث النبوية، فالأحاديث حين تخرج عن مقتضى الظاهر تحمل تأويلا وتوجيها غير متبارد لذهن ملتقي ظاهر الكلام، الأمر الذي يثير انتباه القارئ ويدفعه للغوص إلى ما وراء اللسان الظاهري، من أجل معرفة المعنى المراد الذي تسمو الأحاديث لتقييده.

وقد تنوعت صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، ومنها الإلتفات، التغليب، أسلوب الحكيم، سوق المعلوم مساق غيره، الإضمار في موضع الإظهار، الإظهار في موضع الإضمار، تنزيل غير المنكر منزلة المنكر، تنزيل المنكر/ المتردد منزلة خالي الذهن، التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل وغير ذلك.

و أصرح: بأن هذا العنوان يختص بتطبيق بين قواعد خروج الكلام عن مقتضى الظاهر و الأحايث التي صنفها الشيخ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في كتابه الأدب المفرد. فتطبيق القواعد على الأحاديث الموجودة في الأدب المفرد يزيد أهمية الموضوع، ومن هذا العمل سيفتح بابا جديدا لشرح الأدب المفرد.

يشتمل البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.

المبحث الثاني: أهم صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.

المبحث الثالث: نماذج خروج الكلام عن مقتضى الظاهر من الأدب المفرد.

AL-AASAR Journal
Quarterly *Research Journal*
www.al-aasar.com
Vol. 2, No. 4 (2025)
Online ISSN: 3006-693X
Print ISSN:3006-6921

المبحث الأول

التعريف بخروج الكلام عن مقتضى الظاهر

معرفة البلاغة والفصاحة قبل تعريف خروج الكلام عن مقتضى الظاهر ضروري لأنه لايمكن لأحد أن ينكر أهمية علوم البلاغة ومعرفة الفصاحة ولا أن يصرف النظر عنها. فعلم البلاغة والفصاحة يعتبر من أهم العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفظ، لأنه يعرف به إعجاز كتاب الله، الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة.

ثم إن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله تعالى به من حسن التأليف وبراعة التركيب ما شحنه به من الإعجاز البديع والاختصار اللطيف وضمنه من الحلاوة وجلله من رونق التلاوة مع سهولة الكلمة وجزالتها وعذوبتها وسلاستها إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها. إنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه، وقصورهم عن بلوغ غايته، في حسنه وبراعته، وسلاسته وصناعته، وكمال معانيه، وصفاء ألفاظه.

بأن البليغ لابد أن يكون كلامه متصفاً بصفات ظهرت لنا في معنى البلاغة. فمثلا على البليغ أن يلقي كلاما وفق ما يقتضيه ظاهر الحال،" فإلقاء البليغ الكلام بهذا الشكل يسمى إخراج الكلام على مقتضى الظاهر، أي طبقاً لمقتضى ظاهر الحال"[1].

ولكن قد تقتضي الأحوال العدول عنه، فيلقي البليغ خبرا على خلاف ما يقتضيه الظاهر،" كالإضمار بغير الإظهار"[2].

فإلقاء الخبر بهذا الشكل يسمى" خروجه عن مقتصى الظاهر"[3].

وهذه الأنواع التي تقتصي الأحوال فيها العدولَ عن مقتضى الظاهر هي كثيرة، سوف أشرحها في البحث التالية إن شاء الله تعالى.

ونسوق للقارئ صوراً من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في المسند إليه وغيره، وهذه الصور هي أساليب يحدثها البليغ في النظم، ليحقق بها أغراضاً بلاغية تكسب الكلام قوّةً وجمالاً، وتجعل النظم يحي بالأفكار التي تثير انتباه القاري والسامع، تلبية لاعتبار مناسب اقتضاء الحال. وصوراً لإيراد المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر ليست بكثيرة، وسأذكر هذه الصور في البحث التالية إن شاء الله تعالى.

البحث الثاني

أهم صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر

الأول: الالتفات: مأخوذ من الفعل(لفت)، وهو يدل على (الليّ وصرف الشيء عن جهته المستقيمة)، ومنه لفتُّ الشيء: لويته، ولفتُّ فلانا عن رأيه: قرفته، ولفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت إلتفاتاً والتلتف أكثر منه، وتلفّت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه، والتفت عنه أعرض"[4].

وهو" مأخوذ من إلتفات الإنسان عن يمينه و شماله، فهو يقبل بوجهه تارةً إلى كذا، و تارةً إلى كذا، كذلك الشأن في الإلتفات، فان الملتفت ينتقل من ضمير إلى آخر، فيخرج من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة وغير ذلك"[5].

واصطلاحا: " العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول"[6].

ذكر السكاكي رحمه الله تعالى:" هذا يعني نقل الكلام غير مختص بالمسند إليه ولا بهذا القدر بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقاً ينقل كل واحد منهما إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء علم المعاني. والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها"[7].

---

1. الرامفوري، شموس البراعة، ص 129.
2. التفتازاني، شرح المختصر، ص110.
3. الرامفوري، شموس البراعة، ص 129.
4. ابن منظور، لسان العرب، مادة لفت.
5. ابن الأثير،ضياء الدين نصر الله، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 170-171.
6. طبل،حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص55.
7. القزويني،شرح التلخيص، ص114.

AL-AASAR Journal
Quarterly *Research Journal*
www.al-aasar.com
Vol. 2, No. 4 (2025)
Online ISSN: 3006-693X
Print ISSN:3006-6921

وقد قيل في رأي الجمهور بأن هذا أخص من تفسير السكاكي، لأنه أراد بالنقل أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها. فكل التفات عنهم التفات عنده من غير عكس"[1].

الثاني: الأسلوب الحكيم: ومن خلاف المقتضى ما يسمى الأسلوب الحكيم وهو على إنحاء:

ألف– ومن خلاف المقتضى تلقي المخاطب بغير مايترقب بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيهاً على أنه هو الأولى بالقصد"[2].

ب– ومنه تلقى السائل بغير مايتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على إن ذلك الغير هو الأولى بحال، أو المهم له"[3].

الثالث: سوق المعلوم مساق غيره: ويسمى أيضاً تجاهل العارف ومزج الشك باليقين"[4].

كما ذكرت أنه يسمى أيضاً تجاهل العارف ههنا ذكرت تعريف اللغوي والإصطلاحي لتجاهل العارف.

تجاهل العارف في اللغة والإصطلاح:

تجاهل العارف لغة يعني:" أن يتجاهل العارف جهلاً منفي عنه صفة العلم"[5].

فقد عرفه ابن أبي الإصبع بأنه:" هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه به، ليخرج كلامه مخرج المدح، أو الذم، أو ليدل على شدّة التدله في الحبّ، أو بقصد التعجب، أو التقرير، أو التوبيخ"[6].

الرابع: التغليب: تعريف التغليب في اللغة والإصطلاح: التغيب لغة: الترجيح، هو مأخوذ من ''غلب'' يقال: غلب على الشيء أي: أخذ منه قهرا، وغلب على صاحبه، أي حكم له عليه بالغلبة، و''تغالبوا'' على البلد أي: غالب بعضهم بعضا عليه و''تغلب'' على بلد كذا استولى عليه قهرا، و''استغلب،، عليه الضحك أي: اشتد، و''الأغلبة'' الكثيرة، و''التغليب'' هو إيراد اللفظ الغلب، يقال: غلّبه عليه فغلبه"[7].

"وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر في اطلاق لفظه عليه"[8].

وقيل: هو إعطاء أحد المصطلحين أو المتشاكلين حكم الآخر، وهو ذو باب شعب كثيرة"[9].

قال القزويني رحمه الله: والتغليب يجري في فنون كثيرة"[10]."[11].

الخامس: الإضمار في موضع الإظهار:تعريف الإضمار لغة: يقول ابن فارس:" الضاد والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على دقة في الشيء، والآخر يدل على غيبة وتستر، فالأول قولهم: ضمر الفرس وغيره ضمورا، وذلك من خفة اللحم، وقد يكون من الهزال، ويقال للموضع الذي تضمر فيه الخيل: المضمار. ورجل ضمر: خفيف الجسم. واللؤلؤ المضطمر: الذي في وسطه بعض الإنضمام والإنضمار. والآخر الضمار، وهو المال الغائب الذي لايرجى. وكل شيء غاب عنك فلا تكون منه على ثقة فهو الضمار"[12].

والمقصود في هذا البحث هو الثاني ما غاب واختفى.

---

1. القزويني،الإيضاح، ص58.
2. القزويني، الإيضاح، ص60. و حفني ناصف ومحمد دياب وسلطان محمد ومصطفى طموم، دروس البلاغة، ص137.
3. حفني ناصف ومحمد دياب وسلطان محمد ومصطفى طموم، دروس البلاغة، ص137.
4. القزويني، الإيضاح، ص268. و المراغي،علوم البلاغة، ص119.
5. هوشمند اسفندياربور، عروسان سخن (عرائس الكلام)، ص222.
6. المصري، بديع القرآن، ص5.
7. ابن منظور الأفريقي، لسان العرب، مادة: غلب.
8. حفني ناصف ومحمد دياب وسلطان محمد ومصطفى طموم، دروس البلاغة، ص140.
9. المراغي، علوم البلاغة، ص123.
10. القزويني، تلخيص'مع الشرح'،ص138.
11. المصري، بديع القرآن، ص5.
12. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، 371/3.

AL-AASAR Journal
Quarterly *Research Journal*
www.al-aasar.com
Vol. 2, No. 4 (2025)
Online ISSN: 3006-693X
Print ISSN:3006-6921

تعريف الإضمار اصطلاحا: هو" إسقاط الشيء لفظا لا معنى، كما يعرف بترك الشيء مع بقاء أثره"[1].

وقال أبو البقاء الكفوي:" هو إسقاط الشيء لفظا لا معنى...والإضمار ما ترك ذكره من اللفظ وهو المراد بالنية"[2].

السادس: الإظهار في موضع الإضمار:تعريف الإظهار لغة: قال ابن فارس:" الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوّة وبروز من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهورا فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز. ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها. والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه وهو يجمع البروز والقوة"[3].

تعريف الإظهار اصطلاحا:" ويراد به هنا التصريح باللفظ وإبرازه في الموضع الذي يغني عنه الضمير"[4].

السابع: الإنتقال من المصدر إلى الفعل و صوره: مفهوم الأسلوب العدولي أو الإنتقالي:

وكما قال الدكتور جبر:"لعل أيسر صورة تعريفية للأسلوب هي ما عُرف بأنه طريقة التعبير"[5].

وعليه قسم الأسلوب إلى أدبي، وعلمي، وكل له طابعة الذي يميزه عن غيره. وعرفه بعض الباحثين:" بأنه اختيار، اعتمادا على أن اللغة المعينة هي عبارة عن قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير"[6].

وأيضا:" ولما كانت الألفاظ هي أول ما توفره اللغة للمنشيء من بين تلك الإمكانات المتاحة جعل بعض الباحثين الأسلوب محصورا في اختيار العنصر اللفظي، إذ هو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه"[7].

وبهذا فإن اختيار العنصر اللفظي أي اختيار المفردات بكل خصائصها وقونينها الصوتية والصرفية و دلالتها المعجمية الأولية الموضوعة لها يعد أحد شقي النظم الذي قصده عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز ويرمي بها إلى توخي معاني النحو، والشق الثاني هو وضع هذه المفردات في موقعها النحوي السليم، وهذا هو المعنى النحوي القائم على التوفيق في الاختيار بين المفردات ووظائفها النحوية على الهيئة المرادة"[8].

أما العدول فإن الاستخدامات الفنية لهذا المصطلح قد ركزت على الطرق الفنية المثلى في التعبير عن المعنى وذلك من خلال" العدول عن معنى من معاني النحو إلى معنى آخر لأداء دلالة لا يعطيها المعنى الأول"[9].

الثامن: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي: أما الفعل فهو ما دل على اقتران حدث، ومن خصائصه صحة دخول قد، وحرفي الاستقبال، والجوازم، ولحوق المتصل البارز من الضمائر، وتاء التأنيث الساكنة، نحو قولك: قد فعل يفعل وسيفعل وسوف يفعل، ولم يفعل، وفعلتَ ويفعلن، وافعلي، وفعلتْ.

" أما الماضي منه فهو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك... أما الفعل المضارع فهو ما يعتقب في صدره الهمزة، والنون، والتاء، والياء... وتسمى الزوائد الأربع، ويشترك فيه الحاضر والمستقبل"[10].

والفعل في الجملة الفعلية هو الضابط في الكلام المخالف لمقتضى الحال، وقرينته حالية، غير أن مخالفة مقتضى الظاهر في الأفعال تأتي على وجهين: الأول: مخالفة في استعمال الفعل من حيث الصياغة، لأن للفعل صيغ ثلاث: الماضي، والمضارع، والأمر، ولصيغة المستقبل جانبان هما الأمر، والمضارع، وللحال صيغة المضارع المشتركة بينه وبين الاستقبال.

---

1. الجرجاني،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، ص29.
2. أبي البقاء الحنفي الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص384.
3. أحمد بن فارس معجم مقاييس اللغة، ،ج3، ص471.
4. خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير جمعا ودراسة، ص338.
5. جبر، د. محمد عبد الله، الأسلوب والنحو، ص5.
6. مصلوح، د. سعد عبد العزيز، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص37.
7. الشايب، أحمد، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص46.
8. عبد اللطيف، د. محمد حماسة، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ص 161-163.
9. السيد،د. شفيع، الاتجاه الأسلوبي في النقد العربي، ص35.
10. الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر، المفصل في صنعة الإعراب، 319/1.

AL-AASAR Journal
Quarterly *Research Journal*
www.al-aasar.com
Vol. 2, No. 4 (2025)
Online ISSN: 3006-693X
Print ISSN:3006-6921

الثاني: أن للفعل الماضي صيغة واحدة، غير أن استعمال التعبير عن المستقبل، أو الماضي لم يقف عند الصيغ المحددة لكل فعل كما تتطلب القاعدة النحوية، بل قد يأتي الفعل الماضي دالا على الزمن المستقبل ، وقد يأتي فعل المستقبل دالا على الماضي، فلا يعني العدول الإضراب عن الأصل، بل يعني أصل ما يدل عليه استعمال صيغة زمانية موضع أخرى"[1].

التاسع: التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل: الانتقال من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع: أي استعمل في العبارة صيغة المستقبل ويراد به الماضي.

العاشر: :" تنزيل العالم بفائدة الخبر أو لازمها بمنزلة الجاهل: المراد بهذا المصطلح الذي وضحه صاحب جواهر البلاغة:" تنزيل العالم بفائدة الخبر أو لازمها أو بهما معا منزلة الجاهل بذلك، لعدم جريه على موجب علمه، فيلقى إليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل به، كقولك لمن يعلم وجوب الصلاة وهو لايصلي: الصلاة واجبة. توبيخا على عدم عمله بمقتضى علمه، وكقولك لمن يؤذي أباه: هذا أبوك

الحادي عشر: تنزيل غير المنكر منزلة المنكر: المراد بهذا المصطلح الذي وضحه صاحب جواهر البلاغة:" تنزيل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، كقول حجل بن نضلة القيسي''من أولاد عم شقيق''

جاء شقيق عارضا رمحه إن بني عمك فيهم رماح

''فشقيق'' رجل لاينكر رماح بني عمه، ولكن مجيئه على صورة المعجب بشجاعته، واضعا رمحه على فخذيه بالعرض وهو راكب أو حاملا له عرضا على كتفه في جهة العدو بدون اكتراثه به- بمنزلة إنكاره أن لبني عمه رماحا، ولن يجد منهم مقاوما له كأنهم كلهم في نظره عزل، ليس مع أحد منهم رمح.

فأكد له الكلام، استهزاء به، خوطب خطاب التفات بعد غيبة، تهكما به، ورميا له بالنزق وخرق الرأي"[2].

الثاني عشر: تنزيل المنكر أو المتردد منزلة خالي الذهن: هو أسلوب بلاغي يستخدم في الخطاب لإصال المعنى إلى المخاطب وكأنه يجهله تماما، رغم أنه قد يكون منكرا له أو مترددا فيه. والهدف من هذا الاسلوب هو ترسيخ الفكرة وإثباتها بحجة قوية كأنها تعرض لأول مرة على ذهن المتلقي.

المراد بهذا المصطلح الذي وضحه صاحب جواهر البلاغة:" ومنها تنزيل المنكر منزلة الخالي، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارتدع و زال إنكاره، كقوله تعالى:(وإلهكم إله واحد)، وكقولك لمن ينكر الطب: الطب نافع"[3].

المبحث الثالث

نماذج خروج الكلام عن مقتضى الظاهر من الأدب المفرد.

الإلتفات

1- قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها..." [4].

في السياق نلاحظ التفاتا في الضمائر، مثل:'' سألت النبي صلى الله عليه وسلم'' ثم:''قال: الصلاة على وقتها'' فقد تحوّل من المتكلم 'سألت' إلى الغائب'قال' وهو من أسلوب الالتفات البلاغي الذي يزيد الكلام تأثيرا وجمالية، لأنه يحرك الذهن إلى التركيز على القول لا على الذات المتحدثة.

وأيضا في هذا الحديث انتقال بلاغي من الخطاب المتوقع إلى الغيبة، إذ كان مقتضى الظاهر أن يكون الجواب موافقا للسؤال خطابا كأن يقال:" أن تصلي على وقتها"، ولكنه صلى الله عليه وسلم أجاب بصيغة الغيبة فقال:" الصلاة على وقتها" وهذا التحول من الخطاب إلى الغيبة يعد من أساليب الالتفات البلاغي، وهو يفيد التعظيم والعموم، وكأن الجواب لايخص السائل وحده، بل هو تشريع عام لكل من سأل عن أحب الأعمال إلى الله، فعبر عنه بصيغة مجردة من الخطاب المباشر لتتناسب مع عمومية الجواب.

2- عن ابن عمر رضي الله عنه قال: إنّما سماهم الله أبرارا لأنهم برّوا الآباء والأبناء. كما أن لوالدك عليك حقا، وكذلك لولدك عليك حقّ"[5].

---

1. عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني الدمشقي، البلاغة العربية، ص 510.
2. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 63-64.
3. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 64.
4. البخاري، أبو عبدالله، محمد بن اسماعيل، الأدب المفرد، رقم الصفحة11، رقم الحديث 1.
5. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة35، رقم الحديث94.

AL-AASAR Journal
Quarterly *Research Journal*
www.al-aasar.com
Vol. 2, No. 4 (2025)
Online ISSN: 3006-693X
Print ISSN:3006-6921

في بداية كلام ابن عمر رضي الله عنه كان الحديث بصيغة الغيبة، إذ قال:" إنّما سماهم الله أبرارا لأنهم برّوا الآباء والأبناء" أي أن الكلام يساق عن قوم غائبين بصيغة تقريرية عامة. ولكنه بعد ذلك عدل عن الغيبة إلى الخطاب المباشر فقال:"كما أن لوالدك عليك حقا، وكذلك لولدك عليك حقّ" وهذا التحول من الغيبة إلى الخطاب يعد من أبلغ أنواع الالتفات البلاغي، لأن السامع حين يسمع الحديث عن قوم"أبرار" يتلقى الكلام بتجرد، فلما التفت ابن عمر إلى الخطاب المباشر فجأة، وقال:" لوالدك عليك حقا، وكذلك لولدك عليك حقّ" شعر السامع أن الخطاب موجه إليه مباشرة، فاستيقظ وجدانه، واجذب فكره، وأحسّ بأنه مطالب شخصيّا بالبر المتوازن بين الآباء والابناء.

الأسلوب الحكيم

1- عن ابن عباس رضي الله عنه، أنه أتاه رجل فقال: انى خطبت امرأة فأبت أن تنكحنى، وخطبها غيرى فأحبت أن تنكحه. فغرت عليها. فقتلتها. فهل لي من توبة؟ قال: أمك حيّة؟ قال:لا. قال: تب إلى الله عزوجل، وتقرب إليه ما استطعت. فذهبت فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: إنى لا أعلم عملا أقرب إلى الله عزوجل من بر الوالدة"[1].

في هذا الحديث أسلوب الحكيم هو أن يعدل بالمجيب عن الجواب الظاهر للسؤال إلى جواب أنفع وأنسب، إما بإهمال الجواب الظاهري والتوجه إلى الأهم، أو بتوجيه السائل إلى ما ينبغي أن يسأل عنه. وفي هذا الحديث نرى أن الرجل سأل ابن عباس رضي الله عنه سؤالا مباشرا:" فهل لي من توبة؟ " وهذا سؤال يتطلب الجواب بنعم أو لا، أو تفصيل في شروط التوبة. ولكن ابن عباس رضي الله عنه لم يجبه مباشرة، بل قال له: "أمك حيّة" وهذا عدول عن الجواب الظاهر إلى ما هو أولى وأهم، وهو دلالة السائل على عمل عظيم يقرّبه إلى الله تعالى بعد ذنب الكبير، ألا وهو برّ الوالدة، لِما في برها من الفضل العظيم.

فهذا التحول من الجواب المباشر إلى التوجيه نحو عمل صالح، يدل على أسلوب الحكيم، حيث وجه السائل إلى عمل فيه تكميل لتوبته وتقوية لعلاقته بالله عزوجل، لا سيما أن برّ الوالدين من أعظم القربات، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه في آخر الحديث:" إنى لا أعلم عملا أقرب إلى الله عزوجل من بر الوالدة.

2- رأى عمر رضي الله عنه حلة سيراء تباع. فقال: يا رسول الله ابتع هذه فالبسها يوم الجمعة، وإذا جاءك الوفود. قال إنما يلبس هذه من لا خلاق له ، فأتي النبي صلى الله عليه وسلم منها بحلل. فأرسل إلى عمر بحلة، فقال: كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت؟ قال: إنى لم أعطكها لتلبسها. ولكن تبيعها أو تكسوها، فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة، قبل أن يسلم"[2].

أسلوب الحكيم هو أن يترك الجواب على ظاهر السؤال أو التعليق، ويعدل إلى ما هو أنفع، أو أنسب، أو أولى بالسائل والمقام، سواء بتغيير وجهة الكلام إلى ما هو أولى، أو بتأديب لطيف. وفي هذا الحديث يظهر هذا الأسلوب في موضعين:

1.الموضع الأول: رد النبي صلى الله عليه وسلم على اقتراح عمر رضي الله عنه عندما قال عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم:" ابتع هذه فالبسها يوم الجمعة، وإذا جاءك الوفود" فكان المتوقع أن يجيبه النبي صلى الله عليه وسلم بالموافقة أو الرفض المباشر، ولكنه أجابه بقوله:" إنما يلبس هذه من لا خلاق له" وهذا عدول عن الجواب المباشر إلى بيان حكم شرعي وتربوي، وتنبيه على أن هذه الحلل لاتليق بالمؤمنين، لأنها كانت من الحرير الممنوع على الرجال. ففي هذا توجيه تربوي لعمر رضي الله عنه ولمن سمع،بأن هذا الثياب لاتليق بمن يرجو الآخرة،وهو من أرقى صور أسلوب الحكيم.

2.الموضع الثاني: ردّ النبي صلى الله عليه وسلم على تعجّب عمر رضي الله عنه عندما أهديت له الحلة، عندما قال عمر رضي الله عنه:"كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت" أجابه النبي صلى الله عليه وسلم:" إنى لم أعطكها لتلبسها. ولكن تبيعها أو تكسوها" وهذا أيضا من أسلوب الحكيم، إذ لم يناقشه في سبب التعجب، بل عدل بالجواب إلى ما يبيّن المقصود من الإعطاء، وهو الانتفاع بها بغير اللبس، كبيعها أو كسوة غير المسلمين بها. فهو جواب تربوي وتعليمي راق، يقصد به توسيع أفق الفهم عند السامع.

سوق المعلوم مساق غيره

[1]. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة12، رقم الحديث4.

[2]. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة17، رقم الحديث26.

AL-AASAR Journal
Quarterly *Research Journal*
www.al-aasar.com
Vol. 2, No. 4 (2025)
Online ISSN: 3006-693X
Print ISSN:3006-6921

1- عن أبي الدرداء قال: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسع، لاتشرك بالله شيئا وإن قطعت أو حرقت. ولا تتركن الصلاة المكتوبة متعمدا، ومن تركها متعمدا برئت منه الذمة..."[1].

في هذا الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: ولا تتركن الصلاة المكتوبة متعمدا، ومن تركها متعمدا برئت منه الذمة" في هذا الموضع، كان يكفي أن يقال:" ولا تترك الصلاة المكتوبة" ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أتبع النهي بتهديد شديد فقال:"ومن تركها متعمدا برئت منه الذمة" وهذا أسلوب بلاغي يعرف بسوق المعلوم مساق غيره، أي أن الحكم المعلوم لدى السامع''أن ترك الصلاة كبيرة وخطير'' لكنه سيق في سياق يستخدم عادة لتنبيه الغافل أو لتوضيح الخفي، فجاء التوكيد والتنبيه على ما هو معلوم، للدلالة على شدة الأمر وخطره. وكذلك في قوله:" لاتشرك بالله شيئا وإن قطعت أو حرقت" فإن تحريم الشرك معلوم من الدين بالضرورة، لكن النبي صلى الله عليه وسلم ساق هذا الحكم المعلوم مساق من يحتاج إلى تنبيه أو تأكيد، وأضاف إليه هذا القيد:"وإن قطعت أو حرقت" للدلالة على أن التوحيد يجب أن يحافظ عليه مهما كلف الأمر من تضحيات جسيمة. وأيضا:" ولا تفرر من الزحف، وإن هلكت وفرّ أصحابك" فالفرار من الزحف محرم، لكن سيق هنا بأسلوب يظهر عظم المعصية حتى في حال الاضطرار أو ضعف المعنويات، مما يبين قيمة الثبات وأهمية التضحية في سبيل الله.

النتيجة: نعم، تحتوي هذه الوصايا التسع على أكثر من مثال لأسلوب سوق العلوم مساق غيره، ويتجلى ذلك في: النهي عن ترك الصلاة مع التهديد ببراءة الذمة. النهي عن الشرك مع ذكر أقصى درجات البلاء يعني القطع والحرق. النهي عن الفرار من الزحف ولو كان الجميع قد فرّ. كل هذه تدل على أن الكلام قد خرج عن مقتضى الظاهر من أجل التأكيد، التحذير، وزيادة التأثير الوجداني والمعنوي على السامع.

2- عن عمرو بن معاذ الأشهلي، عن جدته. أنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المؤمنات! لاتحقرن امرأة منكن لجارتها. ولو كراع شاة محرق"[2].

في هذا الحديث الأمر بالإهداء إلى الجار والإحسان إليه معلوم في الشريعة، بل هو من مكارم الأخلاق التي فطرت عليها، وقد وردت في ذلك نصوص كثيرة في القرآن والسنة. ولكن النبي صلى الله عليه وسلم هنا يسوق هذا الأمر المعلوم مساق من يحتاج إلى تنبيه وتحفيز، لا لأنه مجهول، بل لأن النفوس قد تستصغر بعض صور العطاء، فتمتنع عن الإهداء خوفا من التحقير أو قلة القيمة. فقوله:" لاتحقرن امرأة منكن لجارتها. ولو كراع شاة محرق" هو إخراج للمعلوم''فضل الإهداء ولو بالقليل'' في مساق غيره، أي في مقام التنبيه والتشجيع على أمر يظن أنه لاينتبه له، ليبيّن أن قيمة الهدية ليست في ذاتها، وإنما في نية المهدي وتعبيرها عن المودة والإكرام. وقوله صلى الله عليه وسلم:" ولو كراع شاة محرق" -وهو ما دون الحافر من ساق الشاة- يعد في العادة شيئا قليل القيمة، بل لايؤكل في كثير من الأحيان، ومع ذلك فقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم مثالا لما ينبغي إهداءه وعدم احتقاره.

النتيجة: هذا الحديث يعد مثالا واضحا لسوق المعلوم مساق غيره، حيث نبه السامع إلى أمر معلوم ''فضل الإحسان إلى الجار، ولو بشيء يسير'' لكن سيق بأسلوب منبه ومؤكد، ليكسر حاجز التردد والاستحياء، ويزيل ثقافة التحقير والامتناع عن القليل. فهو خروج عن مقتضى الظاهر لغرض بلاغي نبيل: إظهار أن القليل من العطاء إذا صاحبه حسن النية فهو عظيم عند الله، فلا ينبغي احتقاره أو الامتناع عنه.

التغليب

1- حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا شعبة قال: الوليد بن العيزار أخبرني قال: سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: حدثنا صاحب هذه الدار، وأومأ بيده إلى دار عبد الله، قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: ثم برّ الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: ثم الجهاد في سبيل الله. قال: حدثني بهن. ولو استزدته لزادني"[3].

في هذا الحديث نلاحظ احتمال وجود أسلوب التغليب في قوله:" ثم برّ الوالدين"

شرح احتمال التغليب في هذا الموضع: التغليب في البلاغة هو: إطلاق اسم الجمع على فريقين أو أكثر، مع إرادة أحدهما بالأصالة، والآخر بالتبع أو التضمين، ويذكر الغالب ويحذف المغلوب. ومن أشهر أنواعه: تغليب الذكر على الأنثى، أو تغليب الأعلى منزلة على الأدنى، أو تغليب الأشهر على غيره.

---

1. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة15، رقم الحديث18.
2. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة42، رقم الحديث122.
3. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة11، رقم الحديث1.

AL-AASAR Journal
Quarterly *Research Journal*
www.al-aasar.com
Vol. 2, No. 4 (2025)
Online ISSN: 3006-693X
Print ISSN:3006-6921

التطبيق على الحديث: في جملة:" ثم برّ الوالدين" لفظ الوالدين مثنى مذكر يدل في الظاهر على الأب والأم معا، ولكنه من ناحية البلاغية داخل في التغليب، لأن: الأصل أن الوالد يطلق على الأب، والوالدة على الأم ولما جمع بينها، غلّب جانب الذكر''الأب'' على الأنثى''الأم'' في اللفظ، وأن كانت النية والمقصد تشمل كلاهما معا.

فالصياغة:" ثم برّ الوالدين"فيها تغليب: تغليب المذكر''الوالد'' على المؤنث''الوالدة'' مع أن البر واجب بالأب والأم معا. وهذا من أشهر ما ورد في القرآن والحديث، كما في قوله تعالى:(وبالوالدين إحسانا) الإسراء: 23. فكلمة"الوالدين" تتضمن الأب والأم معا، لكن ذكر بلفظ المذكر المثنى، فكان ذلك من التغليب.

الخلاصة: نعم، الحديث فيه تغليب بلاغي في عبارة"برّ الوالدين" إذ أطلق المثنى المذكر''الوالدين'' على الأب والأم، فغلب المذكر على المؤنث، وهو من أنواع التغليب المشهورة في اللغة العربية.

2- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ترفع الميت بعد موته درجته. فيقول أى رب!أي شيء هذه؟ فيقال: ولدك استغفرلك"[1].

نعم، في هذا الحديث يظهر أسلوب التغليب في قول النبي صلى الله عليه وسلم:" ولدك استغفرلك" لفظ"ولدك" في اللغة يطلق على الذكر والأنثى من الأبناء، لكنه هنا جاء بصيغة المفرد المذكر، رغم أن الإستغفار قد يكون من الابن أو البنت.

فهذا من أسلوب التغليب، حيث غلّب الذكر''الابن'' على الأنثى''البنت'' في التعبير، مع أن الحكم يشمل كليهما.

الخلاصة: نعم، في الحديث تغليب بلاغي، حيث غلّب لفظ المذكر"ولدك" ليشمل الابن والبنت، وهو من التغليب الشائع في الألفاظ العامة في اللغة العربية.

الإضمار في موضع الإظهار

1- عن ابن عباس رضي الله عنه، أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها. فهل لي من توبة؟ قال: أمك حيّة؟ قال: لا. قال: تب إلى الله عز وجل، وتقرب إليه ما استطعت. فذهبت فسألت ابن عباس رضي الله عنه: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: إني لا أعلم عملا أقرب إلى الله عز وجل من برّ الوالدة"[2].

نعم، في هذا الأثر يظهر"الإضمار في موضع الإظهار" في قول الراوي:" فذهبت فسألت ابن عباس رضي الله عنه: لم سألته عن حياة أمه؟" الضمير في قوله:" سألته عن حياة أمه" يعود على الرجل القاتل الذي لم يذكر اسمه صراحة هنا، فكان مقتضى الظاهر أن يقول:" لم سألت الرجل عن حياة أمه؟" أو" لم سألت القاتل عن حياة أمه؟" لكن اكتفي بالضمير"سألته" مع أن هذا أول موضع يعاد فيه الكلام إليه، وهو ما يعد إضمارا في موضع الإظهار.

أيضا في هذا الحديث، نلاحظ حذف الفاعلين في بعض المواطن اعتمادا على السياق، وهو من بلاغة الإضمار. مثلا:''فخطبها عمرو''أي:''فعمرو خطبها'' و''غرت عليها'' أي''أنا غرت'' دون تكرار الاسم. هذا الإيجاز بالإضمار يدل على وحدة الموضوع وسرعة تتابع الأحداث، وهو شائع في الروايات المؤثرة، ليحافظ على تركيز السامع دون تشتيت.

الخلاصة: هذا من الإضمار في موضع الإظهار، حيث اضمر اسم الرجل في الموضع الذي يتوقع فيه إظهاره، اعتمادا على السياق السابق، وهو أسلوب بلاغي يستخدم للاختصار والتخفيف، لأن المرجع قد فهم من السياق.

2- كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: رجل يا رسول الله! هل بقي من برّ أبويّ شيء بعد موتهما أبرّهما؟ قال: نعم..."[3].

نعم، في الحديث يظهر الإضمار في موضع الإظهار في قول الراوي:" فقال: رجل يا رسول الله! هل بقي من برّ أبويّ شيء بعد موتهما أبرّهما؟" الضمير في قول الرجل"أبرهما" يشير إلى "أبويّ" المذكورين قبل قليل، ولكن لم يعد ذكرهما صراحة،بل أضمر الضمير في الفعل"أبرهما" دون أن يقول"أبر والديّ" أو" أبر أبويّ"مع أن المقام مقام سؤال وطلب فتبيين المقصود أولى،وكان مقتضى الظاهر إظهار الاسم مرة أخرى.

---

1. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة21، رقم الحديث36.
2. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة12، رقم الحديث4.
3. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة20، رقم الحديث35.

AL-AASAR Journal
Quarterly *Research Journal*
www.al-aasar.com
Vol. 2, No. 4 (2025)
Online ISSN: 3006-693X
Print ISSN:3006-6921

هذا الموضع يعد من الإضمار في موضع الإظهار، حيث استخدم الضمير"هما" في قوله"أبرهما" بدلا من إعادة ذكر"أبويّ" اعتمادا على ما تقدم في السياق، والغرض من هذا الأسلوب البلاغي: الاختصار وتجنب التكرار. وضوح المرجع من السياق، فلا لبس في الضمير. تأكيد على القرب العاطفي والارتباط الشخصي، إذ الضمير يدل على قرب العلاقة دون حاجة لتكرار الاسم.

الخلاصة: نعم، في الحديث إضمار في موضع الإظهار في قول السائل:"أبرهما" إذ أضمر المقصود ''الوالدان'' بدلا من إظهاره، اعتمادا على وضوحه من السياق، وهو من الأساليب البلاغية المعروفة.

الإظهار في موضع الإضمار

1- عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده. قلت: يارسول الله من أبرّ؟ قال: أمك قلت: من أبر؟ قال: أمك قلت: من أبرّ؟ قال: أمك قلت من أبر؟ قال: أباك. ثمّ الأقرب فالأقرب"[1].

هذه الرواية تشتمل على أسلوب الإظهار في موضع الإضمار، حيث ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كلمة"أمك" في كل مرة بدلا من أن يكتفي بالضمير كقوله:"هي" أو"إياها" فالأصل في جواب السؤال المتكرر أن يكتفى بالضمير، لكن جاء الإظهار لتأكيد المعنى، وإبراز أهمية الأم ومقامها العظيم في البر، وإثارة الانتباه إليها بلفظ صريح متكرر. وهذا الأسلوب البلاغي يقوي المعنى في النفس، ويشعر السامع بعظم حق الأم حتى بعد تكرار السؤال ثلاث مرات، إذ يتجدد المعنى مع كل إظهاره، مما يجعله أرسخ في القلب وأبلغ في التأثير.

2- قال: لي ابن عمر رضي الله عنه: أتفرق من النار و تحب أن تدخل الجنة؟ قلت أى. والله! قال: أحيّ والداك؟ قلت: عندي أمي. قال: فوالله! لو ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلنّ الجنّة ما اجتنبت من الكبائر"[2].

في قوله:" أحيّ والداك؟" ثم قوله:" عندي أمي" و" لو ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام" نجد أسلوب الإظهار في موضع الإضمار، إذ كان يمكن لابن عمر رضي الله عنه أن يكتفي بالضمير في مواضع متعددة، كأن يقول:"أهي حية؟"أو" لو ألنت لها الكلام وأطعمتها" لكنه أظهر لفظ الأم تصريحا بها بدل الضمير. وهذا الإظهار يفيد تعظيم حق الأم على وجه الخصوص، وإبرازها في سياق الحديث بعد السؤال عن الوالدين عموما، ليكون المعنى أوضح وأشد تأثيرا في النفس. كما أن الانتقال من اللفظ العام"والداك" إلى اللفظ الخاص"أمي" ثم إعادة ذكرها في الجملة الشرطية بالاسم الظاهر بدل الضمير، فيه تأكيد وتقرير للمقام العالي للأم في البر، مما يعمق الأثر التربوي والمعنوي في السامع.

الانتقال من المصدر إلى الفعل وصوره

1- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: رضا الربّ في رضا الوالد. وسخط الربّ في سخط الوالد"[3].

نعم، في هذا الحديث يوجد مثال واضح على الانتقال من المصدر إلى الفعل، وتحديدا من المصدر المضاف إلى الفعل المضارع. في قوله صلى الله عليه وسلم:" رضا الربّ في رضا الوالد" و"سخط الربّ في سخط الوالد" الأصل في التركيب أن يقال:" رضا الربّ حاصل برضا الوالد" أو"يسخط الربّ بسخط الوالد" لكن التعبير جاء بالمصدر''رضا، سخط'' أولا، ثم أضيف إلى المبتدأ على صورة اسم مصدر، وفي المعنى هو فعل مضارع دال على الحدوث والتجدد، أي: يرضى الربّ برضا الوالد ويسخط الربّ بسخط الوالد.

فالانتقال هنا هو: من المصدر''رضا، سخط'' وهو اسم جامد، إلى الفعل المضارع في المعنى''يرضى، يسخط'' وهذه الصورة تستعمل في البلاغة للتوكيد، إذ يفيد المصدر ثبوت المعنى ودوامه أكثر مما يفيد الفعل، وكأن الرضا والسخط أمران ثابتان مقرران بمجرد تحقق سببهما، وليس مجرد فعل عابر.

ولو أردنا بيان الصورتين:الصورة الأصلية بالفعل:يرضى الرب برضا الوالد، ويسخط الرب بسخط الوالد.

الصورة المستعملة في الحديث: رضا الربّ في رضا الوالد. وسخط الربّ في سخط الوالد.

فكان هذا انتقالا بلاغيا من المصدر إلى الفعل لزيادة التقرير والتوكيد.

---

1. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة11، رقم الحديث3.
2. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة13، رقم الحديث8.
3. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة11، رقم الحديث2.

AL-AASAR Journal
Quarterly *Research Journal*
www.al-aasar.com
Vol. 2, No. 4 (2025)
Online ISSN: 3006-693X
Print ISSN:3006-6921

2- قال: لي ابن عمر رضي الله عنه: أتفرق من النار و تحب أن تدخل الجنة؟ قلت أى. والله! قال: أحيّ والداك؟ قلت: عندي أمي. قال: فوالله! لو ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلنّ الجنّة ما اجتنبت من الكبائر"[1].

نعم، في هذا الحديث مثال على الانتقال من المصدر إلى الفعل. ففي قوله:" لتدخلنّ الجنّة ما اجتنبت من الكبائر" الأصل أن يقال بالفعل المضارع:"تدخل الجنة" لكن جاء التعبير أولا بالمصدر المؤول من "اجتناب الكبائر" وهو في معنى فعل مضارع يدل على الشرط، إن تجتنب الكبائر. فالانتقال هنا من المصدر"اجتناب الكبائر" إلى الفعل المضارع المعنى ''تجتنب الكبائر'' وهذه الصيغة أبلغ في تأكيد المعنى وجعل الشرط ثابتا و مؤكدا، لا مجرد فعل قد يقع وقد لايقع.

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي

1- عن ورّاد، كانت المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كتب معاوية رضي الله عنه إلى المغيرة رضي الله عنه: اكتب إليّ بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال وراد: فاملى عليّ وكتبت بيدى: أنى سمعته ينهى عن كثرة السؤال، وإضاعة المال، وعن قيل وقال"[2].

وفي بعض الروايات'' إنّ الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال''

الحديث يورد أقوالا نبوية بصيغة المضارع في مواضع الإخبار عن الماضي كما في'' إنّ الله كره لكم قيل وقال....'' أي قد قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لكن التعبير جاء بالفعل"يكره"، "ينهى" أو"كره" ليعطى للقول طابع الديمومة، وكأن النهي لايزول.

استخدام الماضي هنا يدل على رسوخ الحكم وثبات الكراهية لما ذكر، مع الحفاظ على دقة النقل. وهذا النوع من التلاعب اللفظي''الزمني'' بلاغيا يعمّق المعنى ويوسّع دائرة التطبيق.

2- عن ابن شهاب قال: أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه"[3].

نعم، في هذا الحديث يظهر التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي في قوله صلى الله عليه وسلم:" وأن ينسأ له في أثره" فالفعل "ينسأ" وإن كان مضارعا، إلا أن المراد به الإطالة في العمر مستقبلا جزاءً على صلة الرحم، وجاء التعبير بصيغة الخبر المحقق ليصور المستقبل وكأنه واقع بالفعل ، وهو أسلوب بلاغي يفيد التحقيق والتأكيد.

التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل

1- عن أبي الطفيل قال: سئل علي رضي الله عنه: هل خصكم النبي صلى الله عليه وسلم بشيء لم يخص به الناس كافة؟ قال: ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء لم يخص به الناس. إلا ما في قراب سيفي. ثم أخرج صحيفة فإذا فيها مكتوب: لعن الله من ذبح لغير الله. لعن الله من سرق منار الأرض. لعن الله من لعن والديه. لعن الله من آوى محدثا"[4].

نعم، في هذا الحديث يوجد مثال واضح لأسلوب التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل وذلك في قوله رضي الله عنه:" لعن الله من ذبح لغير الله. لعن الله من سرق منار الأرض. لعن الله من لعن والديه. لعن الله من آوى محدثا" هنا الألفاظ" لعن الله" في الأصل صيغة خبرية تدل على الدعاء أو الإخبار بحكم قد صدر بالفعل، فهي تحمل معنى الماضي، لأن لعن الله لهؤلاء واقع وثابت من قبل، وليس منظراً في المستقبل. لكن التعبير جاء بصيغة فعل ماض يستعمل هنا بمعنى الاستقبال المستمر أو الإخبار عن حكم دائم، فيشعر السامع بأن هذا الحكم باق ومتحقق في كل وقت، في الماضي والحاضر والمستقبل.

التوضيح البلاغي: إحياء المعنى: صيغة الماضي"لعن" تستحضر في ذهن السامع أن اللعن قد تحقق وانتهى، لكن المراد أنه حكم شرعي دائم يتجدد وقوعه على من فعل هذه الأفعال في أي زمن.

تقوية التأكيد:استعمال الماضي يوحي بأن الأمر محقق لاشك فيه،وكأنه قد وقع بالفعل على وجه القطع.

---

1. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة13، رقم الحديث8.
2. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة15، رقم الحديث16.
3. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة25، رقم الحديث56.
4. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة15، رقم الحديث17.

AL-AASAR Journal
Quarterly *Research Journal*
www.al-aasar.com
Vol. 2, No. 4 (2025)
Online ISSN: 3006-693X
Print ISSN:3006-6921

التأثير النفسي: صيغة الماضي تجعل التهديد والوعيد أوقع في النفس، إذ يشعر السامع أن العقوبة قد حلت حتما بمن ارتكب هذا الفعل. هذا الأسلوب نجده كثيرا في النصوص الشرعية للدلالة على تحقيق الوقوع، حتى وإن كان الفعل متعلقا بزمن لاحق للفعل المرتكب.

2- عن الحسن أن يتيما كان يحضر طعام ابن عمر رضي الله عنه. فدعا بطعام ذات يوم. فطلب يتيمه فلم يجده. فجاء بعد ما فرغ ابن عمر رضي الله عنه. فدعا له ابن عمر رضي الله عنه بطعام. فلم يكن عندهم. فجاءه بسويق وعسل. فقال: دونك هذا. فوالله ما غبنت. يقول الحسن: وابن عمر والله! ماغبن"[1].

في هذا الأثر يظهر أسلوب التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل في قول ابن عمر رضي الله عنه:" فوالله ما غبنت" وكذلك في قول الحسن:" وابن عمر والله! ماغبن" الفعل"غبنت" و"غبن" أفعال ماضية، لكن المراد بها هنا تحقيق نفي الغبن عن الحاضر والمستقبل، أي: لن أكون قد ظلمتك أو بخستك حقك، وكأنه يقول: أنا الآن وفيما سيأتي لم أغبنك. فجاء التعبير بالماضي ليدل على تحقق الأمر وثبوته وكأنه قد مضى وانتهى، رغم أن المعنى المقصود متصل بالوقت الحالي والمستقبل. الفائدة البلاغية:

تحقيق المعنى وتوكيده: الماضي يفيد أن الأمر ثابت كأنه حدث وانتهى.

استحضار الصورة: يشعر السامع أن الغبن منتف تماما حتى ليتصوّر أنه أمر قد مضى.

إقناع المخاطب: الأسلوب بالماضي يعطي قوة في نفي الظلم أو الغبن، فيطمئن السامع.

تنزيل العالم بفائدة الخبر أو لازمها بمنزلة الجاهل

1- عن ابن عباس رضي الله عنه، أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها. فهل لي من توبة؟ قال: أمك حيّة؟ قال: لا. قال: تب إلى الله عز وجل، وتقرب إيه ما استطعت. فذهبت فسألت ابن عباس رضي الله عنه: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: إني لا أعلم عملا أقرب إلى الله عز وجل من برّ الوالدة"[2].

هذه الرواية تندرج تحت تنزيل العالم منزلة الجاهل لفائدة الخبر أو لازمه، وهو من أساليب البلاغة التي يخرج فيها الكلام عن مقتضى الظاهر.

فابن عباس رضي الله عنه كان عالما بأن التوبة مقبولة عند الله تعالى، ولكنه لم يجب السائل مباشرة بجواب عام، بل سأله سؤالا يعرض فيه كالعالم المجهول الذي يحتاج إلى الإستفهام:"أمك حية" وهذا ليس لجهله بالحكم، وإنما لتنزيله نفسه منزلة السائل الجاهل لأجل أن يوصله إلى فائدة أعظم، وهي التنبيه على أن بر الوالدة من أعظم القربات وأسرعها في محو الذنوب.

إذن: لم يكن السؤال للاستعلام الحقيقي، وإنما كان أسلوبا بلاغيا تربويا، لإظهار أن التوبة تحتاج إلى عمل صالح عظيم يقرب العبد إلى الله تعالى، وليس هناك عمل أعظم من بر الأم. ولهذا صرح ابن عباس رضي الله عنه في آخر الحديث بقوله:" إني لا أعلم عملا أقرب إلى الله عز وجل من برّ الوالدة.

فهذا المثال من أوضح شواهد تنزيل العالم منزلة الجاهل لفائدة الخبر، إذ نزل ابن عباس رضي الله عنه نفسه منزلة من يسأل عن أمر يجهله، والحقيقة أنه كان يريد أن يظهر للسائل أهمية بر الأم كأفضل وسيلة للتقرب إلى الله تعالى بعد التوبة.

2- أخبرني أبو أيوب سليمان-مولى عثمان بن عفان- قال: جاءنا أبو هريرة رضي الله عنه، عشية الخميس، ليلة الجمعة فقال: أحرّج على كل قاطع رجم لما قام من عندنا. فلم يقم أحد، حتى قال ثلاثا... "[3].

هذه الرواية تشمل تنزيل العالم منزلة الجاهل بفائدة الخبر أو لازمه، ويتجلى ذلك في قول أبي هريرة رضي الله :" أحرّج على كل قاطع رجم لما قام من عندنا" حيث كررها ثلاث مرات، مع أن الحاضرين يعلمون أصل تحريم القطيعة. لكن أبا هريرة رضي الله عنه نزّلهم منزلة الجاهل، فذكّرهم بوجوب الصلة الرحم، وكأنه يعرّفهم بالحكم لأول مرة، ليؤكّد عليهم عظم الأمر وخطورة القطيعة.

فالمقام ليس مقام إخبار جديد، بل مقام إلزام و تنبيه، ولكن أخرجه مخرج تعليم من يجهل أو لايدرك العاقبة، وهذا هو عين تنزيل العالم منزلة الجاهل بفائدة الخبر أو لازمه.

تنزيل غير المنكر منزلة المنكر

---

1. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة45، رقم الحديث134.
2. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة12، رقم الحديث4.
3. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة26، رقم الحديث61.

AL-AASAR Journal
Quarterly *Research Journal*
www.al-aasar.com
Vol. 2, No. 4 (2025)
Online ISSN: 3006-693X
Print ISSN:3006-6921

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم-وكان جميلا- فقال: حبّب إليّ الجمال، وأعطيتُ ما ترى، حتى ما أحبُّ أن يفوقني أحد: إما قال: بشراك نعل، وإما قال: بشسع أحمر. الكبر ذاك؟ قال: لا. ولكن الكبر من بطر الحقّ و غمط الناس"[1].

نعم، هذا الحديث يشمل على تنزيل غير المنكر المتردد منزلة المنكر. فالرجل سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ميله إلى الجمال وتفضيله أن لايسبقه فيه أحد، مترددا: هل يعدّ ذلك من الكبر أم لا؟ فلم يكن منكرا للحكم، بل متحيّرا. فجاء جواب النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الحسم والقطع:" لا. ولكن الكبر من بطر الحقّ و غمط الناس"كأنه يرد على منكر لامجرد متردد، ليزيل الشك ويبيّن أن الميل إلى الجمال ليس كبرا، وإنما الكبر حقيقته ردّ الحق واحتقار الناس.

فبهذا نزل النبي صلى الله عليه وسلم حال المتردد منزلة المنكر، فأجابه بجواب جازم قاطع يرفع التردد ويرسخ المعنى الصحيح.

2- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء. ولا يقل: اللهم إن شئت فأعطني. فإن الله لا مستكره له"[2].

نعم، هذا الحديث يشمل على تنزيل غير المنكر المتردد منزلة المنكر. فالنبي صلى الله عليه وسلم قال:" إذا دعى أحدكم فليعزم في الدعاء. ولا يقل: اللهم إن شئت فأعطني. فإن الله لا مستكره له" فالمؤمن الداعي لاينكر سعة قدرة الله، لكنه قد يقع في تردد أو أدب موهوم فيعلّق الدعاء على المشيئة بقوله:" إن شئت" فجاء الخطاب النبوي بصيغة جازمة، كأنه يردّ على منكر لقدرة الله أو على من يظن وجود إكراه عليه، فقال: فإن الله لا مستكره له.

فبهذا نزل النبي صلى الله عليه وسلم حال المتردد في الدعاء منزلة المنكر، ليقطع التردد ويرسّخ اليقين بقدرة الله المطلقة.

تنزيل المنكر أو المتردد بمنزلة خالي الذهن

1- جاء الأشج يمشي حتى أخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فقبلها. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أما إن فيك لخلقين يحبهما الله ورسوله. قال: جبلا جبلت عليه، أو خلقا معي؟ قال:لا. بل جبلا جبلت عليه. قال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله"[3].

هذا الحديث يشمل على صورة من تنزيل المنكر المتردد منزلة خالي الذهن، وذلك في سؤال الأشج للنبي صلى الله عليه وسلم حين قال:" جبلا جبلت عليه، أو خلقا معي؟" فقد ظهر منه نوع تردد في فهم مصدر تلك الأخلاق: هل هي طبيعة فطرية أم خصلة مكتسبة؟ فنزل النبي صلى الله عليه وسلم هذا التردد منزلة سؤال من يجهل ابتداء، فأجابه بوضوح:" بل جبلا جبلت عليه" أي أنها صفة فطرية أعطيها من الله.

الحديث من أمثلة تنزيل المنكر المتردد منزلة خالي الذهن، حيث أجاب النبي صلى الله عليه وسلم سؤال الأشج المتردد وكأنه صادر من جاهل يحتاج إلى بيان واضح ، فطمأنه وأزال عنه الحيرة.

2- قال سعيد: إبراهيم عليه السلام أول من اختتن، وأول من أضاف، وأول من قصّ الشارب، وأول من الظفر، وأول من شاب. قال: يا رب، ما هذا؟ قال: وقار. قال: يا رب، زدني وقارا"[4].

هذا الأثر يشمل على صورة من تنزيل المنكر المتردد منزلة خالي الذهن، وذلك في سؤال أبراهيم عليه السلام عند ظهور الشيب: قوله:" يا رب، ما هذا؟" يدل على تعجب واستفهام كمن لم يعرف حقيقة الأمر، فكأنه منزّل منزلة خالي الذهن المستفسر. فجاء الجواب من الله تعالى:"وقار" أي علامة الهيبة والسكينة. ثم طلب الزيادة:" يا رب، زدني وقارا" فانتقل من حال الاستفهام والتردد إلى حال الرضا والطلب.

النتيجة: الأثر يعد مثالا واضحا على تنزيل المنكر المتردد منزلة خالي الذهن، حيث سأل إبراهيم عليه السلام عن أمر بدا له جديدا ''الشيب'' فأجيب بجواب رفع عنه التردد وبيّن له الحكمة.

مكانة البحث:

1. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة146، رقم الحديث556.
2. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة159، رقم الحديث608.
3. البخاري، الأدب المفرد، رقم الصفحة154، رقم الحديث587.
4. البخاري، الأدب المفرد ، رقم الصفحة322، رقم الحديث1250.

AL-AASAR Journal
Quarterly *Research Journal*
www.al-aasar.com

Vol. 2, No. 4 (2025)
Online ISSN: 3006-693X
Print ISSN:3006-6921

أظن هذا بحثي سيكمل في باكستان ولا أحتاج إلى زيارة البلاد الأجنبية لأن كثيرا من المصادر والمراجع توجد في الجامعات الباكستانية. لأن هذا الموضوع يتعلق بأحاديث رسول الله وأقاويله التي توجد في الأدب المفرد للإمام البخاري. وهناك كثيرمن الكتب التي ألفت في توضيح وتشريح " الأدب المفرد".

لأن هذا الموضوع يتعلق بفن من فنون البلاغة أي: "خروج الكلام عن مقتضى الظاهر" فهناك كثير من الكتب التي تكتب على البلاغة والفصاحة توجد في الجامعات الباكستانية. سأكون أستطيع أن أكمل هذه الأطروحة سهلا بوسيلة الأساتذة والعلماء الأجلة بالجامعات والمدارس الدينية الباكستانية وخصوصاً بإرشاد الأستاذ الدكتور أبوبكرالمحترم والمكرم، المشرف على بحثي مدّ ظله العالي وبتوفيق الله تعالى وبعونه إن شاء الله تعالى.

المصادر والمراجع

1- ابن الأثير،ضياء الدين نصر الله، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،د.ط: بيروت: المكتبة العصرية، 1995م.

2- ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار الحديث، القاهرة، سنة 2003م.

3- أبي البقاء الحنفي الكفوي،أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت.

4- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة، دار الفكر، سنة: 1399هـ/1979.

5- البخاري، أبو عبدالله، محمد بن اسماعيل، الأدب المفرد، حقق نصوصه، ورقم أبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فواد عبد الباقي، الناشر: المكتبة الأثرية، جامع مسجد اهل حديث باغوالي، سانجله هل، من مضافات شيخوفوره.

6- التفتازاني،سعد الدين، مسعود بن عمر بن عبد الله، شروح التلخيص، الناشر: دار الكتب العلمية.

7- جبر، د. محمد عبد الله، الأسلوب والنحو، الناشر: دار الدعوة، ط1، سنة، 1409هـ/1988م.

8- الجرجاني،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف، طبعة،1، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، سنة، 1403هـ/1983م.

9-حفني ناصف ومحمد دياب ومصطفى طموم، دروس البلاغة، المدينة العلمية،:لاهور،باكستان،1428-2007.

10- الرامفوري، أبو الأفضال محمد فضل حق رامفوري، شموس البراعة شرح دروس البلاغة، المكتبة العلمية: لاهور، باكستان،1428هـ-2007م.

11- خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير جمعا و دراسة، الناشر: دار ابن عفان.

12- الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي أبو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال بيروت،ط1، سنة1993م.

13- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الناشر: مؤسسة هنداوي سي آي سي، سنة، 2017.

14- السيد،د. شفيع، الاتجاه الأسلوبي في النقد العربي، الناشر:دار الفكر العربي،القاهرة، سنة،1986م.

15- الشايب، أحمد، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط8، سنة.

16- طبل،حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، القاهرة: دار الفكر العربي، ط 1، 1998م.

17- عبد اللطيف، د. محمد حماسة، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، الناشر: دار الشروق، ط1، سنة، 1420هـ/2000م.

18- عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني الدمشقي، البلاغة العربية، الناشر: دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط1، سنة 1416هـ-1996م.

19- القزويني،جلال الدين محمدبن محمد الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، بيروت: دار الكتب العلمية، ط.1424،1 هـ-2003م.

20- المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار الفكر: بيروت، لبنان،1397هـ- 1974م.

21- صلوح، د. سعد عبد العزيز، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، الناشر: عالم الكتب، ط3، سنة، 1412هـ/1992م.

22- هوشمند اسفنديار بور، عروسان سخن (عرائس الكلام) ،الناشر:مطبعة رامين، طهران، الطبعة الثالثة ،1384هـ.